

تفسير ابن كثير

مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا^ج

وقوله : (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني : المنافقين محيرين بين

الإيمان والكفر ، فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ، ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا ، بل

ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين . ومنهم من يعتريه الشك ، فتارة يميل إلى

هؤلاء ، وتارة يميل إلى أولئك (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) الآية]

[البقرة : 20] . قال مجاهد : (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني :

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ولا إلى هؤلاء) يعني : اليهود . وقال ابن جرير :

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ،

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير

إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، ولا تدري أيتها تتبع " . تفرد به مسلم . وقد رواه عن

محمد بن المثنى مرة أخرى ، عن عبد الوهاب ، فوقف به على ابن عمر ، ولم يرفعه ، قال

: حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك . قلت : وقد رواه الإمام أحمد ، عن إسحاق بن

يوسف بن عبيد الله ، به مرفوعا . وكذا رواه إسماعيل بن عياش وعلي بن عاصم ، عن
عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعا . وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة ،
عن عبدة ، عن عبد الله ، به مرفوعا . ورواه حماد بن سلمة ، عن عبيد الله - أو عبد
الله بن عمر - عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعا . ورواه أيضا صخر بن جويرية ، عن نافع عن
ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله . وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن
الوليد ، حدثنا الهذيل بن بلال ، عن ابن عبيد ، عن أبيه : أنه جلس ذات يوم بمكة
وعبد الله بن عمر معه ، فقال أبي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن مثل
المنافق يوم القيامة كالشاة بين الريضين من الغنم ، إن أتت هؤلاء نطحتها ، وإن أتت
هؤلاء نطحتها " فقال له ابن عمر : كذبت . فأثنى القوم على أبي خيرا - أو معروفا - فقال
ابن عمر : لا أظن صاحبكم إلا كما تقولون ، ولكني شاهد نبي الله إذ قال : كالشاة بين
الغنمين . فقال : هو سواء . فقال : هكذا سمعته . وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا
المسعودي ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : بينما عبيد بن عمير يقص ، وعنده عبد
الله بن عمر ، فقال عبيد بن عمير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المنافق

كالشاة بين ريضين ، إذا أتت هؤلاء نطحتها ، وإذا أتت هؤلاء نطحتها " . فقال ابن عمر :
ليس كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " كشاة بين غنمين " . قال : فاحتفظ الشيخ وغضب ، فلما رأى ذلك ابن عمر قال
: أما إني لو لم أسمعه لم أردد ذلك عليك . طريق أخرى : عن ابن عمر ، قال الإمام أحمد
: حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عثمان بن بودويه ، عن يعفر بن زوذي قال :
سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل
المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين " . فقال ابن عمر : ويلكم . لا تكذبوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم . إنما قال صلى الله عليه وسلم : " مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين " . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ،
أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله - هو ابن مسعود -
قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد ، فدفع أحدهم فعبر ، ثم
وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي : ويلك . أين تذهب
؟ إلى الهلكة ؟ ارجع عودك على بدئك ، وناداه الذي عبر : هلم إلى النجاة . فجعل ينظر

إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال : فجاءه سيل فأغرقه ، فالذي عبر المؤمن ، والذي غرق

المنافق : (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) والذي مكث الكافر وقال

ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة عن قتادة : (مذبذبين بين ذلك لا إلى

هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول : ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك .

قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلا للمؤمن وللمنافق

وللكافر ، كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر ، فوقع المؤمن فقطع ، ثم وقع المنافق حتى إذا

كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر : أن هلم إلي ، فإني أخشى عليك . وناداه المؤمن : أن

هلم إلي ، فإني عندي وعندك ؛ يحصى له ما عنده . فما زال المنافق يتردد بينهما حتى

أتى أذى فغرقه . وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة ، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك .

قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " مثل المنافق كمثل ثاغية

بين غنمين ، رأت غنما على نشز فأنتها وشامتها فلم تعرف ، ثم رأت غنما على نشز فأنتها

وشامتها فلم تعرف " . ولهذا قال تعالى : (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) أي : ومن

صرفه عن طريق الهدى (فلن تجد له وليا مرشدا) فإنه : (من يضل الله فلا هادي له)

والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ، ولا منقذ لهم مما هم فيه ،

فإنه تعالى لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .